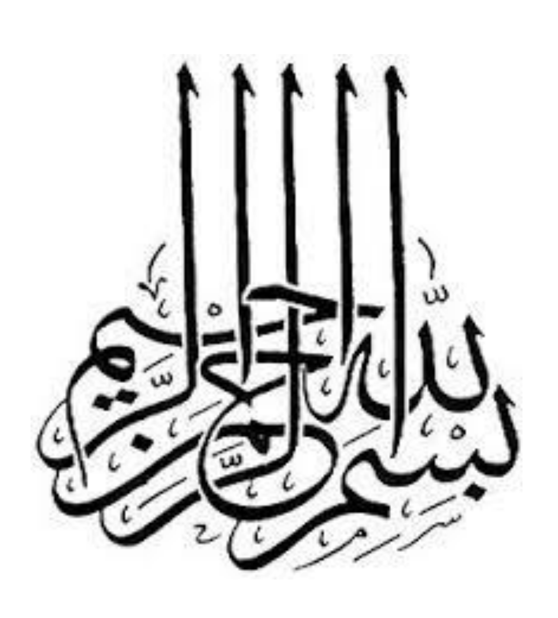
التجارة مع الله

لفضيلة الشيخ

أبي علي الأنباري

تقبله الله


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

التِّجارَةُ مَعَ اللَّه[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كلِّه، ولو كره المشركون.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: 70، 71]، **﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء: 1].

---

(1) أصل هذه المادة خطبة صوتية مع بعض التصرف اليسير.

أما بعد:

سيكون حديثنا -بإذن الله تعالى- عن آية في كتاب ربنا، سنقف عند مفردات هذه الآية الكريمة، ثم بعد ذلك نتساءل أين نحن من هذه الآية الكريمة؟ والآية التي أعنيها قول الله -تبارك وتعالى-:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:10 - 13].

هذه الآية الكريمة تضمنت مفردات سنقف عندها؛ لنتبين ما الذي أراده الله ﷻ من خلال هذه الآية مني ومنك يا أخي، ونتجاوز مسألة **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، ثم قال الله ﷻ بعد ذلك: **﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾**، هذه المسألة سنتجاوزها؛ لأن فيها تأصيلات أصولية.

ونقف عند قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ**﴾.

الله -تبارك وتعالى- من عليائه يخاطب عباده ويقول: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ**﴾، أي: هل أرشدكم إلى عملٍ، ثم ذكر بعد ذلك نوع العمل، والدلالة هنا دلالة إرشادٍ، أي: هل أرشدكم.

قال: ﴿**تِجَارَةٍ**﴾ وهي الدلالة التي أراد الله -جلَّ وعلا- أن يدلَّنا عليها.

والتجارة كما تعلم، فسَّرها بعض العلماء وقال: هي التصرف في رأس المال لأجل الربح، وكذلك فسرها الإمام الجصَّاص رحمه الله في تفسيره فقال: "اسم يقع على عقود المعاوضات، -أي أعطيك شيئًا وتعطيني مقابل ذلك شيئًا آخر- والمقصود منها تحقيق الربح"[2].

﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾، بعد هذه الآية ذكر الله عز وجل شروط مَن يساهم في هذه التجارة الربَّانية، إذًا تجارة

(2) أحكام القرآن، للجصاص (3/ 128).

معروضة من الله ﷻ على كل مسلم، ولكن ينبغي لكل مسلم أن يقف عند الشروط التي وضعها الله ﷻ لكي تكون من المساهمين في هذه التجارة الربَّانية.

شروط التجارة ربَّانية:

الشرط الأول: **تؤمنون بالله**، ومعنى الإيمان بالله هنا: أن يكون إيماني وإيمانك على منهاج أهل السنة والجماعة؛ لأن ما يدَّعيه الآخرون لا يُلقى له بالٌ، وإن ما ندَّعيه يُوضَع في ميزان الشرع، فإن كانت دعواي موافقةً للشرع، فهذا هو الصواب، أما إذا ادَّعيتُ ودعواي مخالفة للشرع، فدعواي لا يُؤبَه بها.

وإلا فإن الرافضي يقول: أنا مؤمن، ومن يدخلون في الحكومات يقولون: نحن مؤمنون، ومن يحكم بغير ما أنزل الله يقول مؤمن؛ فأين تقيم دعوى هؤلاء في شرع الله ﷻ!؟

ضوابط هذا الإيمان:

أولًا: أن توحِّد الله عز وجل في أسمائه وصفاته، ونختصر التوحيد هنا: أن تقرَّ لله عز وجل بكل اسمٍ أو صفةٍ ذُكر في كتاب الله عز وجل، أو جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا أقررت بالأسماء التي جاءت في الكتاب والسنة، وكذلك الصفات من غير تحريف ولا تأويلٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تشبيهٍ؛ فقد وحَّدت الله عز وجل في أسمائه وصفاته.

الله عز وجل يغضب؟ نعم يغضب ﴿**فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ**﴾ [النحل: 106]، نقرُّ بأن الله عز وجل يغضب، ولكن لا نسأل كيف يغضب، الله -تبارك وتعالى- يفرح؟ نعم يفرح، الله عز وجل يضحك؟ نعم يضحك، كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله يضحكُ إلى رجلين**»(3)، أثبتُ هذه الصفة لله عز وجل، ثم لا أسألُ بعد ذلك كيف هذه الصفة، وكيف أثبت هذه الصفة.

---

(3) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (4/ 24) برقم: 2826، ومسلم (3/ 1504) برقم: 1890.

هذا منهاج أهل السنة والجماعة في مسألة الأسماء والصفات، فإذا أثبتَ لله ﷻ الأسماء والصفات التي جاءت في القرآن والسنة؛ فقد وحَّدتَ الله ﷻ في أسمائه وصفاته.

ثانيًا: النَّوع الآخر من التوحيد المطلوب من المسلم: أن توحِّد الله ﷻ في ربوبيته، أي: توحده في الأفعال النازلة من الله إلى خلقه، فتقر لله ﷻ أنه هو الخالق، وتقر له أنه هو الرازق، وأنه هو المحي وأنه هو المميت، وأنه هو مدبر الأمر في الكون.

أما من قال أن الله ﷻ هو الرزاق، ثم ذهب إلى ميتٍ وطلب منه طفلًا، فهذا لم يوحد الله ﷻ في ربوبيته، فإذا أقررت أن الله ﷻ هو الرزاق يكون طلبك من الله ﷻ مباشرةً.

فمن وحَّد الله ﷻ في ربوبيته فقد تحقق لديه الركن الثاني من أركان التوحيد.

ثالثًا: أن توحِّد الله ﷻ في ألوهيته؛ فلا تصرف شيئًا من العبادات إلى غير الله ﷻ، وحتى يتحقَّق فيك توحيد الألوهية، إذًا عليك ألَّا تشرك بالله ﷻ شرك دعاء.

وأنت تعلم أن شرك الدُّعاء قد استشرى في الأمة، في فترة من الزمن، وهؤلاء شركهم أنهم ينادون غير الله ﷻ، ويطلبون منه ما يُطلب من الله -تبارك وتعالى-، هذا شرك الدعاء، وقد قال الله ﷻ عن هؤلاء: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ [الرعد: 14].

ويقول رسولنا ﷺ في الحديث الذي يرويه ابنُ عباس رضي الله عنهما وعن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سألتَ فاسْأل الله، وإذا استعنتَ فاسْتعِن بالله**»(4).

(4) أخرجه الترمذي (4/ 667) برقم: 2516، وأحمد (1/ 293) برقم: 2669.

فمن توجَّه بالدعاء والنداء إلى الله ﷻ، فقد خلص من شرك الدعاء -بإذن الله تعالى-، وحتى تحقِّق الوحدانية لله في الألوهية، عليك ألَّا تشرك بالله ﷻ شرك طاعة.

وأعني بشرك الطاعة هنا ألَّا تقرَّ لهذه القوانين، وألَّا تقرَّ لهذه الدساتير، وألَّا ترضى أن تُحكم بهذه القوانين، ولا أن توافق على أن تُحكم بهذه القوانين.

فمن وافق على أن يُحكم بهذه القوانين، فقد أشرك بالله ﷻ، ونوع الشرك هنا شرك طاعة، ومن أشرك بالله ﷻ لم يوحد الله في ألوهيته.

وكذلك من توحيد الألوهية أن تنجو من شرك المحبة، فلا تحب مخلوقًا كحبِّك لله ﷻ، ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾ [البقرة: 165]، وهذه المصيبة كانت حاصلة.

فتجد من ابتُلي بهذا النوع من الشرك، يخاف من المخلوق أكثر من خوفه من الخالق، وقد سمعنا ذلك ورأينا بأعيننا الرافضي عندما كان

يريد أن يكذب، كان يحلف بالله ﷻ، وإذا أراد أن يصدق كان يحلف بالعباس، ولو حملته على الحلف بالعباس لتردَّد؛ لأنه يحبُّ العباس أكثر من حبِّه لله ﷻ.

فهذا هو الشرط الأول (توحيد الله في أسمائه وصفاته وفي ألوهيته وفي ربوبيته)، فمن وحد الله في هذه الثلاث تحقق فيه الشرط الأول من التجارة مع الله ﷻ.

الشرط الثاني: ورسوله، ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾، من أراد أن يتاجر مع الله ﷻ في هذه التجارة المعروضة من الله، عليه أن يؤمن برسول الله ﷺ.

والإيمان بالرسول يعني: أن تؤمن بأنه رسول مبعوثٌ من الله ﷻ، وأن تصدقه في كلِّ ما صحَّ عنه، وإن لم تعقل ذلك، من الروايات ومن الأحاديث قد لا تجد مساغًا في العقل لتقبلها، عليك أن تؤمن أن هذا القول هو الصواب، وتتهم عقلك بعد ذلك، كحديث الذبابة؛ فقد أخبر الرسول ﷺ أن: «**الذبابة إذا وقعت في الشراب، فاغمسوها فإنَّ في**

إحدى جناحيها داءً، وفي الآخر دواءً»[5]، أنا عندما أقرأ هذا الحديث أوقن جازمًا أن الأمر كما قال الرسول ﷺ، وإن لم يتوصل العلماء إلى تحقيق ذلك الأمر.

﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾، ثم بعد ذلك عليك أن تطيعه فيما أمر وفيما نهى، يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: 7]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[6].

فمن آمن بالرسول في الذي ذكرت، فقد تحقق فيه الشرط الثاني من شروط المساهمة في التجارة الربانية.

الشرط الثالث: ﴿**وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ**﴾، **هذا الشرط يتضمن:**

---

(5) أخرجه أحمد (2/ 355) برقم: 8642، وفي البخاري بلفظ: "وفي الآخر شفاء".

(6) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (9/ 94) برقم: 7288، ومسلم (2/ 975) برقم: 1337.

أولًا: أن تجاهد، أي أن يكون الإنسان من المجاهدين، فإن كان ممن انضوى في جماعة جهادية، فقد تحقق فيه الجهاد.

ولا يجوز لأحدٍ الآن أن يأتي بمجموعةٍ ثم يترأس هذه المجموعة؛ لأن الجماعة الجهادية -ولله الفضل والمنَّة- قائمة، وقد مكن الله ﷻ لها، فمن أراد أن يجاهد، عليه أن ينضوي تحت هذه الدولة، وأن يكون فردًا من أفراد هذه الدولة، لأن الله ﷻ قد قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ [الصف: 4]، وقد قال الرسول ﷺ: «**إنما يأكل الذِّئبُ من الغنم القاصية**»(7).

فإذا أردت أن تجاهد في سبيل الله، لكي تكون من المتاجرين مع الله ﷻ؛ فإياك أن تنفرد عن الجماعة الجهادية، ثم تظن أنك تجاهد، انضوِ تحت هذه الجماعة؛ لأنها قد بدأت نصرةً لله ﷻ، وقد مكَّن الله -تبارك وتعالى- لها في الأرض.

ثانيًا: ﴿**وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، أن يكون جهادك في سبيل الله، ومعنى في سبيل الله: أي أن تحمل السلاح وتقاتل ضمن الجماعة، حتى

(7) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 330) برقم: 765.

تكون كلمة الله هي العليا، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(8).

ثالثًا: أن تكون مجاهدًا، والغاية من جهادك أنك تريد أن تعليَ كلمة الله ﷻ، وأن يكون جهادك بمالك ونفسك، ومن كان لا يملك المال فعليه أن يجاهد بنفسه، تجاهدون بأموالكم وأنفسكم، ﴿**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.

فمن ترك الجهاد وهو ليس من أهل الأعذار، أي أنه أعمى أو أعرج، أو به مرض يمنعه من الجهاد؛ لا يكون من أهل التجارة مع الله ﷻ.

من آمن بالله على منهاج أهل السنة والجماعة، ومن آمن برسول الله ﷺ على منهاج أهل السنة والجماعة، ثم لم يجاهد في سبيل الله، لا يحقُّ له

(8) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (4/ 20) برقم: 2810، ومسلم (3/ 1513) برقم: 1904.

الاشتراك في التجارة الربانية هذه؛ لأن الشرط الثالث قد تخلَّف عنده، ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ**﴾.

فمن كانت السنوات قد مرَّت عليه دون أن يكون من المتاجرين مع الله ﷻ فعليه أن يتدارك الأمر، فإن الفسحة ما زالت متسعة، والباب في الدخول إلى الجهاد ما زال مفتوحًا، فتدارك نفسك أخي الكريم، حتى تكون من أهل هذه الآية: ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ**﴾.

القاعد عن الجهاد لا يبرِّر لنفسه أنه مسؤول أسرة، أو مسؤول عائلة، أو أنه على بناتٍ أو أنه لا يجد من يعيل الأسرة، إذًا أين التوكل على الله ﷻ!

كم من أناسٍ خرجوا للجهاد وهم أبناء وحيدون لأسرة، ومن أولئك مرثد بن أبي مرثد ؓ، كان أخًا على سبع بناتٍ، وخرج مع رسول الله ﷺ، وكذلك الحال في شبابٍ تركوا كل شيء، ثم هاجروا لكي يجاهدوا في سبيل الله.

إذًا هذه هي الشروط الربانية لمن أراد أن يشترك في التجارة مع الله ﷻ.

فإذا علمت الشروط فأنت تعلم أنَّ لكل تجارة مكسبًا، ولكل تجارة أرباحًا، فما هي الأرباح التي وعدها الله ﷻ لمن يتاجر مع ذاته العلية؟

المكسب الأول: وهو عطاء من الله ﷻ: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾.

إذا تحقَّقت فيك الشروط، فأنت بهذه الشروط تكون من المساهمين في التجارة، فإذا ساهمت فقد وعد الله ﷻ أن ينجيك من عذابٍ أليم، وظني ما حضوركم في هذا المسجد إلا لكي تنجوا من عذابٍ أليم، ولكن الله ﷻ جعل بابًا آخر للنجاة من العذاب الأليم، قال: تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم.

والعذاب الأليم في هذه الآية: جهنم، إذا أردت أن تعرف ما معنى جهنم فقف عند كل آية ذكرت فيها جهنم، ثم قف عند كل آية ذكرت

أحوال أهل جهنم، حتى تعلم ماذا تعني قول الله ﷻ: ﴿**تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾.

ولا بأس أن أشير إلى جانبٍ من عذاب جهنم -والعياذ بالله!-.

أهل جهنم -أعاذنا الله وإياكم منها- يعيشون فيها كحياتهم في الدنيا، لهم مأكل، لهم مشرب، لهم ملبس، لهم حمام، ويتنفسون، ولهم أسرَّة، ولهم أغطية، ولكن كلها من نارٍ -والعياذ بالله!-.

طعام أهل النار:

النوع الأول: ﴿**لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ**﴾ [**الغاشية: 6، 7**]، هذا نوع من أطعمة أهل جهنم، والضريع نباتات شوكية لا يأكلها في الدنيا إلا الإبل، وقد سلب الله ﷻ من هذا النوع من الطعام خاصيَّتين:

خاصية التسمين، وخاصية الإشباع، فالذي يأكل لا يسمن، والذي يأكل لا يشبع، إذ الأكل يبقى مستمرًّا -والعياذ بالله!-.

النوع الآخر من أطعمة أهل النار: شجرة يسميها الله ﷻ شجرة الزقوم، هذا النوع من الطعام فيه ثلاث ميزات:

الميزة الأولى: أن شكلها مرعب مخيف، ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الفاتحة: 64، 65]، شكل هذه الشجرة التي يأكل منها أهل النار طلعها كأنه رؤوس الشياطين.

مهما أردت أن تتخيَّل بشاعة منظر هذه الشجرة لا يمكنك أن تصل إلى نتيجة؛ لأنك لا تعلم بشاعة رؤوس الشياطين، ولكن يقينًا هو منظر بشع مخيف مرعب، ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾، هذه الميزة الأولى لهذه الشجرة التي يأكل منها أهل النار.

الميزة الثانية: أنها بمجرد أن تنزل اللقمة إلى الجوف، تبدأ بالغليان - والعياذ بالله!- ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾ [الدخان: 43- 46]، والحميم هو السائل المذاب الذي بلغ أعلى درجات الغليان.

وأنت تعلم أن الماء يغلي في درجة مائة، أي أن هذه اللقمة بمجرد أن تنزل إلى الجوف، تبدأ في الاشتعال -والعياذ بالله!- من الداخل ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾.

والميزة الثالثة لهذا النوع من الطعام: أن لها مرارة لا يعلمها إلا الله ﷻ؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي بِحَارِ الْأَرْضِ لَفَسَدَتْ**»(9)، هذه البحار الشاسعة الواسعة، لو أن الله ﷻ قطر على هذه البحار قطرة من الزقوم لأفسدت هذه البحار، الحديث رواه الحاكم، وصححه الذهبي رحمه الله.

وفي حديث آخر: «**لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ**»(10).

---

(9) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 322) برقم: 3158.

(10) أخرجه الترمذي (4/ 706) برقم: 2585.

هذه الكرة الأرضية بحجمها وشساعتها، لو أن الله ﷻ قطر على هذه الكرة قطرة من الزقوم، واللهِ لا نستطيع أن نعيش على هذه الأرض، فما بالكم بمن يدخل جوفه تلك الشجرة -والعياذ بالله!-.

تجارة مكسبها ومربحها تنجيكم من عذابٍ أليم، هذا جزءٌ من عذاب جهنم، ولهذا الجزء أجزاء لمن أراد أن يتوسع، فدونه كتاب الله ﷻ.

ونوعٌ آخر من الطعام أن أهل النار عندما يأكلون، يُغصون بهذا الأكل: ﴿**إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (12) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [المزمل: 12، 13]، بمجرد أن يأكل هذه اللقمة، اللقمة لا تنزل.

وقد اعتاد في حياته أنه إذا غص يطلب الماء، وهناك أيضًا سيطلب الماء، والملائكة يأتون بالماء، يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: 29].

بمجرد أن يقرِّب هذا الماء إلى وجهه لكي يتخلص من تلك اللقمة التي غص بها؛ شدة حرارة هذا الماء تشوي وجه شاربها، وهو في جهنم.

إذًا عندما تقرأ قول الله ﷻ: **﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**، تقدر قيمة عطاء الله ﷻ هذا لك.

المكسب الثاني: وهو عطاء من الله ﷻ قال: **﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**.

يقول الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** -أنقل كلامه بالمعنى وليس بالنص-: "إن الله ﷻ يغفر لأهل التوحيد من أهل الجهاد الذنوب والمعاصي والكبائر، وإن لم يحدثوا توبة".

فمن آمن بالله ورسوله، وجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، الله -تباك وتعالى- يغفر له ذنوبه ومعاصيه، وإن لم يتب منها، أما إن كان فيه كفرٌ أو ردة، فعليه أن يحدث توبة، أما دون الكفر، فإذا كانت لديه ذنوب

ومعاصٍ سيغفر الله ﷻ له؛ لأنه من المتاجرين مع الله -تبارك وتعالى-، بشروطه.

ولا تنسَ أن بعض أهل التوحيد يدخلون النار وهم موحدون لله ﷻ بسبب الذنوب وبسبب المعاصي، ثم يرحمهم الله ﷻ فيخرجون ويدخلون الجنة، ويسمونهم بالجهنميين.

إذًا بسبب الذنوب والمعاصي قد يدخل الإنسان النار، أما من تاجر مع الله ﷻ فالله -تبارك وتعالى- يغفر له ذنوبه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 36] عدا هؤلاء، إذا جاء رجلٌ كافرٌ بالله ﷻ ويملك كرتين أرضيتين بكل ما فيها، بكل محتوياتها، ثم قال: يا رب أتنازل لك عن مملكتي هذه أن تغفر لي؛ لن يُغفر له.

ولكن إذا أخذت بالشروط وجاهدت في سبيل الله، فقد وعد الله ﷻ أهل التجارة هذه أن يغفر لهم ذنوبهم.

المكسب الثالث: وهو عطاء من الله ﷻ، ﴿**وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾.

وحسبك من الجنة أن تعلم ما قاله الرسول ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ**»، ثم قرأ قول الله ﷻ: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: 17][11].

هذه الجنة، من أخذ بهذه الشروط الثلاثة، وجاهد في سبيل الله وتاجر مع الله، فإن وعد الله ﷻ له سيدخله جنات تجري من تحتها الأنهار.

وإذا أردت أن تقف على بعض ما في الجنة، فارجع إلى سورة الإنسان، واقرأ من الآية العاشرة إلى الآية الثانية والعشرين، ستجد أن الله ﷻ كيف وصف حال أهل الجنة في تلك السورة المباركة.

---

(11) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (6/ 116) برقم: 4780، ومسلم (4/ 2175) برقم: 2824.

﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أنت ما جئت إلى هذا المكان وما تحملت هذا الذي تتحمله، إلا لأنك طامعٌ في الدخول في الجنة، ولكن هل ندخل أم لا؟ الله -تبارك وتعالى- أعلم.

ولكن لو أخذت بالشروط الثلاثة، وجاهدت في سبيل الله، فالله- تبارك وتعالى وعد، فقال: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، وإذا وعد الله ﷻ فإن الله لا يخلف الميعاد، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 111].

وفي داخل هذه الجنة وعد الله ﷻ المتاجرين معه قال: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

تدخل الجنة، آمنت بالله ورسوله وجاهدت، بعد دخول الجنة من مكاسب هذه التجارة أن الله ﷻ أعد لأحدهم مساكن طيبة، ليس مسكنًا واحدًا، وإنما مساكن، كم عددها؟ الله يعلم.

وحسبك من هذا المسكن، أن الله ﷻ قال عنها: ﴿**طَيِّبَةً**﴾، فلا تستطيع بعد ذلك أن تصف كنهَ هذه المساكن؛ لأن الله ﷻ بنى بناءً طيبًا لعباده قد رضي عنه.

﴿**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾، هذه المكاسب الأخروية لتلك التجارة.

هناك مكاسب دنيوية للمتاجرين مع الله ﷻ:

المكسب الأول: وهو عطاء من الله ﷻ قال: ﴿**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ**﴾.

بعد أن وعد المتاجرين مع ذاته العلية بما وعد في الآخرة، قال: أعلم أنكم تحبون بعض الأمور في الدنيا، وبما أنكم تجاهدون في سبيل الله، فأحب الأشياء إليهم بعد الإيمان بالله أن ينصرهم الله ﷻ: ﴿**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ**﴾، فوعد الله ﷻ هؤلاء المتاجرين معه أن ينصرهم في الدنيا أيضًا.

والمكسب الآخر: ﴿**وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾، أي: سيفتح الله ﷻ لكم البلاد.

ثم قال: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، أي بشر المؤمنين بالعطاء الأخروي، وبشر المؤمنين بالعطاء الدنيوي.

وهذا الأخير الذي ذكرته: ﴿**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾؛ يقينًا تعلمون أن هذا الجزء قد تحقق في أرض الواقع بعد إحدى عشرة سنةٍ من الجهاد، فالله -تبارك وتعالى- أكرم عباده بالنصر وفتح لهم البلاد.

إذا علمت من كلام ربك ما ذكرتُه لك، فلك أن تجريَ مقارنةً بين أعداد المتاجرين مع الله ﷻ، وبين أعداد المتاجرين في الدنيا، أصحاب التجارات في الدنيا، تجد أن النسبة لا نسبة بين هؤلاء وهؤلاء.

فعندما يكونون هؤلاء المتاجرون مع الله ﷻ بالمئات، فإن المتاجرين في الدنيا بالملايين، هذه تجارة أرشدك إليها بشر أو عقل، أما التجارة التي حدثتك عنها فهي تجارة أرشدك إليها الله ﷻ.

أما كون هؤلاء قلة، فليس الأمر بالمستغرب؛ لأن الجهاد يعني أن تضحيَ بنفسك، أن تضحي بأهلك، أن تضحي بمالك، أن تضحي ببيتك، أن تضحي بوطنك وأقربائك، والناس ليس لديهم استعداد أن يستجيبوا لهذا النوع من التجارة، ولهذا تجد أعدادهم قليلة.

يقول الله ﷻ: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ**﴾ [النساء: 66]، وكذلك في آية أخرى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ**﴾ [البقرة: 246].

أنتم الكثرة، فاحرص على أن تكون من هذه القلة، فإن هؤلاء القلة قد وصفهم الله تعالى في قوله -تبارك وتعالى-، وهم المتاجرون مع الله ﷻ، ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ**

يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26].

والله هذه الآية مجسدة على الأرض على مدى سنين: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ**﴾، الذي كان يقاتل في بغداد في 2005 و2006 م، مع وجود الأمريكان والجيش والشُّرط ثمانون من الشباب فقط، فإذا كان هذا حال العاصمة فقِس باقي المحافظات عليها، ولكنهم ذاقوا الأمريكان الأمرَّين.

﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾ الناس يستضعفونكم وأنتم ضعفاء، ﴿**تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**﴾ الأمريكان سيأتون، "سوات" سيأتون، القوة الاتحادية ستأتي، الشرطة الاتحادية، القوى القذرة الجيش الشرطة، ﴿**تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**﴾.

بعد هذه المراحل ﴿**فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾، هذه الآية هي محصلة ما ذكرته في الآية الأولى.

اللهم اغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ اجعلنا من الذين يؤمنون بك وبرسولك، واجعلنا من الذين يجاهدون في سبيلك، اللهمَّ إنا أخذنا بالشروط فلا تحرمنا العمل بالتجارة معك يا أرحم الراحمين، اللهمَّ أعنَّا على أن نكون من المتاجرين معك يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ أعنا على أنفسنا، اللهمَّ أعنا على ذواتنا يا رب العالمين، اللهمَّ إن أكرمتنا بهذه التجارة فلا تحرمنا ما وعدتنا يا أرحم الراحمين، وأنت أوفى من يفي بوعده يا رب العالمين.

اللهمَّ انصر الإسلام والمسلمين، اللهمَّ انصر عبادك المجاهدين في مشارق الأرض، اللهمَّ خفف عنهم وطأة الكفار يا رب العالمين، اللهمَّ من ابتلي منهم بالسجون فصبِّرهم وثبِّتهم وأعنهم على أنفسهم، ولا تجعل للكافرين إلى ما في عقولهم وقلوبهم من أخبار ومعلومات سبيلًا.

اللهمَّ احفظ أعراضنا، اللهمَّ احفظ أعراضنا وأعراض المسلمين، اللهمَّ اهدِ شبابنا لكي يجاهدوا في سبيلك، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.

* * *